

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ  
لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ { ٢١-١١-١٤٣٤

إِنَّ معالِمَ أوجب الواجبات توحيد رب الأرض والسموات بالعبادة، واجتناب الشرك واضحة جلية في الحج . قال سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله في "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة " : فالحج بأعماله وأقواله كله ذكر لله عز وجل، وكله دعوة إلى التوحيد والاستقامة على دينه، والثبات على ما بعث به رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام، فأعظم أهدافه توجيه الناس إلى توحيد الله، والإخلاص له، والاتباع لرسوله ﷺ فيما بعثه الله به من الحق والهدى في الحج وغيره.

عباد الله: إِنَّ أوجب الواجبات على العبد توحيد الله عز وجل واجتناب ما يضاده وهو الشرك؛ ذاك أن التوحيد هو أصل الدين وأساس الملة الذي لا يغفر الله لمن نقضه، قال الله عز

وجل: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ }. ولهذا لما اشتملت كلمة الإخلاص على الإقرار بالتوحيد ونفي الشرك كانت أفضل الكلام وأعظمه، كما في أعظم آية في كتاب الله تعالى آية الكرسي: { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }.  
إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَسْتَقِيمُ تَوْحِيدُهُ إِلَّا بِالْحَذَرِ مِنَ الشَّرِكِ وَاجْتِنَابِهِ،  
والقرآن كله في الأمر بالتوحيد والتحذير من الشرك، بل لم يأت  
نبي من الأنبياء إلا وأمر قومه بإخلاص التوحيد لله ونهاهم عن  
الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا  
اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال عز وجل: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ }.  
إِنَّ الشَّرِكَ أَعْظَمُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ، ففي  
الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ  
: "أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ".  
ومن خطورة الشرك أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى مَنْ مَاتَ  
عَلَيْهِ. قال سبحانه: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ  
وَمَا أَوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }.

ومن خطورته أنه مُحْبَطٌ للعمل، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } .

إنَّ معالمَ التوحيدِ في الحجِّ واضحةٌ جليَّةٌ، ومن ذلك:

المعلّمُ الأوّلُ: آياتِ الحجِّ في القرآن الكريم وما فيها من الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، قال الله تعالى: { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا } إلى قوله سبحانه: { لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } ، وقال عز وجل: { ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } ، وقال تبارك وتعالى: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كُفِرُوا بِهِ وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } .

وقال جل وعلا: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ}. فجميع هذه الآيات ترشد إلى تحقيق التوحيد، وإفراد الله سبحانه بالعبادة والطاعة، والذبح والمناسك، وتنفر من الشرك الذي هو ضدُّ التوحيد.

المعلم الثاني: ما يحصل من أحكام الإحرام في الميقات من تجرُّد الحاج جميعاً من ثيابهم، ولبسهم لرداء وإزار. يستوي في ذلك الغنيُّ والفقيرُ، والقويُّ والضعيفُ، والعظيمُ والصعلوكُ، وهذا يُذكر بيوم البعث في خروج الناس جميعاً من قبورهم للحشر حفاة عراة كما ولدتهم أمهاتهم، كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةَ غُرْلًا قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَهُمْ ذَاكَ".

وعندما يلبس المحرم ملابس الإحرام ويدخل في النسك فإنه

يُمنع من الطيب، ومن قص الشعر والأظفار، فيتذكر أنه إذا صار إلى قبره يُحال بينه وبين أي شيء من ملاذ الدنيا ومُتَعِها.

المعلم الثالث: ما يتدئ به المحرم من الإهلال رفع الصوت بالتلبية فعند مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ " لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَزِيدُ فِيهَا لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ ". والتوحيد في ذلك واضح جلي.

المعلم الرابع: الطواف بالبيت يقول الله جل جلاله: {وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} ، وقال سبحانه: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} . وأخرج البخاري في "صحيحه" عن عمر رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت النبي يقبلك ما قبلتك". قال الحافظ ابن حجر في "الفتح": قال الطبري: إنما قال ذلك عمر

لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَخَشِيَ عُمَرُ أَنْ  
يُظَنَّ الْجُهَّالُ أَنَّ اسْتِئْلَامَ الْحَجَرِ مِنْ بَابِ تَعْظِيمِ بَعْضِ الْأَحْجَارِ  
كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعَلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَرَادَ عُمَرُ أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ أَنَّ  
اسْتِئْلَامَهُ اتِّبَاعُ لِفِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا لِأَنَّ الْحَجَرَ يَنْفَعُ وَيُضِرُّ  
بِذَاتِهِ كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْتَقِدُهُ فِي الْأَوَّلِ. اهـ

المعلم الخامس: قراءة سورتي "الكافرون" و"الإخلاص" في  
ركعتي الطواف، وهما من أعظم السور التي توضح مفهوم  
التوحيد، والولاء والبراء، والحب في الله، والبغض في الله.

المعلم السادس: السعي بين الصفا والمروة وما فيه من توحيد الله  
عز وجل: يقول جابر بن عبد الله واصفاً حجة رسول الله ﷺ  
وفيها " ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّافَا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّافَا قَرَأَ: {  
إِنَّ الصَّافَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } . أَبَدُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ فَبَدَأَ بِالصَّافَا  
فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَوَحَّدَ اللَّهُ وَكَبَّرَهُ  
وَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ

وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ".

المعلم السابع: التنقل بين المشاعر من منى إلى عرفة ثم إلى مزدلفة وبعدها إلى منى وتحمل المشقة في ذلك، حيث تتجلى معاني العبودية والانقياد والتسليم لشرع الله تعالى، ففي عرفات يقف المسلم وسط ذلك الزحام موحداً لله، مهللاً ومليباً، منقاداً لأمر الله في أمره بذلك، وقد قال رسول الله ﷺ فيما أخرجه الترمذي في "سننه"، وحسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي": عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".

المعلم الثامن: مخالفة المشركين في مكان الوقوف يوم عرفة ووقت الدفع منها. حيث كانوا يقفون عند المشعر الحرام، يقول جابر رضي الله عنه: "فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقِفٌ عِنْدَ الْمُشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ فَوَجَدَ الْقَبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ

بِنِمْرَةٍ فَنَزَلَ بِهَا".

وكان المشركون يدفعون قبل غروب الشمس، فخالفهم رسول الله في هديهم ودفع بعد الغروب. يقول جابر رضي الله عنه: "حَتَّى أَتَى الْمُؤَقِّفَ فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ وَجَعَلَ حَبْلَ الْمِشَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ".

وكذلك مخالفة المشركين في وقت الإفاضة من مزدلفة بعد صلاة الفجر قبل أن تشرق الشمس، حيث كان المشركون لا يفيضون إلا بعد طلوع الشمس. يقول جابر رضي الله عنه: "اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمُشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ".

المعلم التاسع: ذبح الهدي، والذبح لله من التوحيد، أما الذبح لغيره سبحانه تقرباً فهو من الشرك الأكبر كما قال تعالى: {فَصَلِّ



لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} ، وقال : {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ} . وأخرج مسلم في " صحيحه " عَنْ مَنْصُورِ بْنِ  
حَيَّانَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ : قُلْنَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرْنَا بِشَيْءٍ  
أَسْرَهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا أَسْرَ إِلَيَّ شَيْئًا  
كَتَمَهُ النَّاسَ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ  
اللَّهُ مَنْ آوَى مُحِدًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ  
الْمَنَارَ " .